

قراءة جديدة في أنشودة المطر للسياب

أحمد محمد مشرف الدراحشة
أستاذ مشارك
جامعة آل البيت / الأردن



■ الملخص:

تَعِدُّ هذه القراءة بدراسة المطر في قصيدة "أنشودة المطر" للسياب دراسة تحليلية تأويلية ، وإن كانت تتكىء في بعض جوانبها على بعض تفريعات المنهج التاريخي ، هادفة إلى مقارنة الحقيقة النصية ، وربطها ببيئة العراق الجنوبية ، وبذلك فقد توصلت إلى حقائق كبرى لم تفز بها أي من الدراسات السابقة .

الكلمات المفتاحية : المطر؛ الثورة؛ العراق؛ البصرة؛ الكوفة؛ الطوفان.

■ Abstract

This study aims at investigating “ rain” in the ballad of “rain” *anshudat al-matter* by Bader Shaker Assayyab analytically and ecologically on the basis of the integrative and comprehensive approach benefiting from the interpretative approach. The study also purports at approximating reality as intended by the poet. The study concludes with unprecedented results and implications.

Keywords: rain, revolution, Iraq, Basra, Kufa, flood.

تمهيد :

الضوء على الخبايا المتوارية تحت الألفاظ .

المطر في الشعر الحديث:

لم يقتصر توظيف الشاعر الحديث للمطر على دلالاتي المطر المعروفتين؛ الغيث والعذاب، وإنما كان أغلب توظيفه للمطر ليكون سبباً في محق الأوضاع الاجتماعية والقهر السياسي أي بمعنى الثورة⁽³⁾ وإن كان يقترب من دلالة الألم والعذاب والتي لم تغب عن عقلية الشاعر القديم الذي تجاوز هو أيضاً دلالة المطر المعروفة التي تحمل معاني الخصب والإمراع وسقيا القبور⁽⁴⁾ إلى معاني الانتقام والدمار والخراب كما في لوحة المطر عند امرئ القيس في المعلّقة .

إنّ مصطلح المطر بدا أكثر اتساعاً مما كان عليه عند القدماء، وأعظم أهميّة في الشعر الحديث، حيث رُفِع لمعالجة هموم المواطن العربي المعاصر، وسعيه للتحرر من نير الاستعمار وقهره، وممن قام بدور المستعمر من الحكام الذين صادروا الحريات، وأكلوا أموال الناس بالباطل، وأذلوا الشعوب وقيدوها بدساتير تكفل بقاءهم واستمرارهم في الحكم.

إنّ تجربة الشعر الحديث مع المطر تجربة أصيلة، أغنت معجم المعاني الشعرية بدلالات جديدة للمطر تمحورت حول الرمزية الثورية والنضالية ضد الظلم والقهر والتقييد ، ومن حيث وظيفة الأدب والشعر الأساسية التي تكمن في رتق فتق الأمة ، ودعم مسارها التقدمي، وتعزيز منجزها الحضاري، فكان المطر من المفردات المتشابهة بين كثير من الشعراء ، وكلها تجسد هذا الواقع المتفجر ، وهي لا تخرج عن هذه الكُنى : الثورة و الانعتاق والتجديد والتغيير والتحرر والتفجر والتحول التاريخي ورصاصة الخلاص وتفجير الواقع⁽⁵⁾ .

فإذا كانت معاناة العربي قديماً تتمثل في التصحر وانحباس المطر وطلب السقيا للخصب والإمراع؛ لتوفير

إنّ لكل بيئة مفاهيمها الخاصة التي تحدد تشابك عناصرها فيما بينها، وكلّ بيئة تخلو إلى مصطلحاتها وتراكيبها ولهجاتها بمعزل عن الأخرى، والبيئة هي الكون الموجود حول الشاعر بكل ما فيه ومن فيه من كائنات وجماد⁽¹⁾، وتتمثل الثقافة فيها بالحوار بين إنسانها وغيره من العناصر، والشاعر يستطيع التقاط إحدى دلالات كلمة ما في طور من أطوار بيئته أو بعض إيجازاتها ، ويوظفها في سياقاته المختلفة بطريقة لا تحسب على التناص، مستحضراً دلالة غائبة تعمل على إلغاء دلالة حاضرة مستعملة ومتداولة، فالشاعر يهيم في أودية البيئة وصورها الذهنية واستشعارها، ولا يريد من الألفاظ التي يستخدمها ظواهر ما وضعت لها في اللغة في أصل وضعها، أو تعارف عليها الناس في بيئتها الأولى، ولكنه يشير بمعانيها إلى معانٍ آخر⁽²⁾.

هذا القول يوجب على من يتعاور تفسير النصوص الأدبية أن يطلق العنان للبحث عن المعاني المتخفية تحت الألفاظ، وتجاوز المعاني السائحة على السطح، في حال لم يستقم وجه المعنى، ولم يناسب الظاهر أحوال المقام. وأحوال المقام هنا مجموعة المعطيات الخارجية البيئية الخاصة بثقافة مجتمع القصيدة، وحدثها الذي دفع الشاعر للقول، والمعطيات النصية الداخلية المتعلقة باللغة والقارئ المتوافرة التي تمنع ورود المعنى الظاهر، وتلجّ على القارئ النبیه للبحث عن معنى آخر يستقيم معه وجه المعنى ويتفق مع أحوال القصيدة .

مسوغات الدراسة :

تعدد القراءات وتتقاطع دون أن تلغي الواحدة منها الأخرى، ولكلّ زمان ومكان، قراءة خاصة به تحمل نكهة بيئته، وتعلن عن قدرات ناقيه ، ولون استجابة قارئيه ، وأية قراءة جديدة لا تعقب مضرة ، ستكون ذات جدوى في استكناه زوايا النص ، وتبسيط

من طينه المعطور، والدم في عروقي من زلاله
ينثال كي يهب الحياة لكل أعراق النخيل
والماء يهمس بالخير، يصل حولي بالمحار
وأنا بويب، أذوب في فرحي وأرقد في
قراري⁽⁷⁾

وهناك في العراق عشرات الأنهر كبويب، تهب أرض
العراق قفزيًا وحنطة وسلالاً من الأسماك . إذن فما
حاجة السياب العراقي للإلحاح على المطر في قصيدته
التي سمّاها «أنشودة المطر»؟

وما دلالات المطر عنده في المقطع المتكرر في
قصيدته؟ وكأنه لازمة لا يمكن تجاوزها دون أن تختل
بنية القصيدة ، ومعمارها الهندسي ، وهل هو قفل
نفسي وموسيقي ينهي به مقاطع القصيدة؟ أم كان
هو غير ذلك !

وقبل أن نقرّر دلالة من دلالات القصيدة، علينا
أن نتوقف لفحصها في ضوء المعطيات الخارجية للنص،
والداخلية أيضاً، وفي ضوء أحوال الشاعر وظروفه
ومعتقداته ومذهبه واتجاهاته، فضلاً عن ثقافة المجتمع
ورؤى عصره.

من المعروف للقاصي والداني أن بدرًا كان
معارضاً سياسياً لنظام بلاده، وقد تعرّض للمطاردة
والحاكمة والتنكر والفصل من العمل والسجن
والاغتراب في سبيل عقيدة آمن بها مدة ثماني سنوات
أو تسع⁽⁸⁾.

و عندما يأس بدر من الإصلاح، وأيقن أن الأمر
صعب، تمنى غزواً عسكرياً أجنبياً يُحشد بسرعة من
بعيد، يأتون عبر البحار، وأن يستبيح الغزاة كل شيء
في العراق حتى ابنة الحاكم «بنت بائعة الرقاق» أي
المطعم الناس الخبز، والمطعم هو الحاكم ، ولن يصل أي
غازٍ إلى الحاكم حتى يدمر كل شيء أمامه؛ لأنّ الحاكم
لديهم خطوط دفاع كثيرة، وقد تلعّع بدر بالرمز تنكراً

أسباب العيش لهم ولأنعامهم، إذ ليس لهم من سبيل
للعيش والوجود غيره، فطلب شعراؤهم السقيا والغيث
لحاجتهم إليه كحل لمعظم مشكلاتهم، فإنّ معاناة العربي
اليوم لا تكمن في هذا الأمر في ضوء الثروات الهائلة
في البلاد العربية التي ربما تغني البلاد العربية عن مصادر
الرزق الأخرى ، المتمثلة بالزراعة والرعي لعدم توفر
أسبابه أولاً سوى في بعض البلاد العربية التي لديها
كفاية من المياه السطحية كالعراق ومصر مما أدى إلى
إهمال هذا الجانب على الرغم من أهميته، وأصبح ذات
جدوى غير اقتصادية، وثانياً لتوفر الاحتياجات الزراعية
في الأسواق بأسعار رخيصة ، في مقابل السلع العربية
الأخرى : كالنفط والمعادن والتجارة بهما.

وفي ظل الأوضاع السياسية الحديثة؛ لم يجرؤ
الشاعر الحديث بالدعوة إلى الثورة على الأوضاع
السياسية والاجتماعية والاقتصادية جهاراً ، فتدثر
بالرمز خوفاً من السجن والأذى والعذاب والنفي
والحرمان، كما كان من أحوال بدر شاكر السيّاب،
الذي وجد في الثورة حلاً منشوداً لمشكلات الشعب
العراقي ، وهوموه وتطلعه إلى الخلاص والتحرر، مكنياً
عنها بالمطر ومتخذاً منه قناعاً للنجاة من مطاردة السلطة
وبطشها⁽⁶⁾.

ثانياً: المطر عند السيّاب:

لقد لعبت بيئة العراق الجنوبية دوراً كبيراً في
تشكيل مخيلة بدر الثقافية والفنية في لحظات

تكوينه النفسي والعقلي، وكان صوت بيئة الجنوب
يصل في وجدانه وعقله، أينما كان؛ بعيداً أو قريباً منها،
ووظفها توظيفاً رائعاً عن مصالح سياسية واقتصادية؟!
فيقول في قصيدة «مرحى غيلان» معرفاً علاقته مع أحد
مفاهيم البيئة الطبيعية ، وهو نهر بويب ومعتزلاً بدوره
في بعث الحياة في نخيل العراق وأهله :

أنا في بويب أرقد في فراش من رماله

و خوفاً من بطش السلطة لإنقاذ حياته، و تحققت أمنيته
هذه بعد خمسين عاماً.

يقول في قصيدة «المومس العمياء» :

والله . عزَّ وجلَّ . شاء

أن تقذفَ المُدنَ البعيدةَ والبحارُ إلى العراق

آلاف آلاف الجنود ليستبيحوا، في زقاق

دون الأزقة أجمعين

ودون آلاف الصبايا، بنت بائعة الرِّقاق⁽⁹⁾

فلمن يطلب الغيث بدر في قصيدته أنشودة المطر؟
ألتخصب البلاد ، ويزداد الأغنياء

ثراء، والفقراء جوعاً وفقراً وذلاً ! مشيراً إلى أنَّ
المطر البيئي الطبيعي ليس هو المقصود ولا يمثل الحل
المنشود للأوضاع المتردية في العراق وهو يقول:

ومنذ أن كُنَّا صِغاراً، كانت السماءُ

تَغِيْمُ في الشتاء

ويَهْطُلُ المطرُ

وكلَّ عام حين يعشُبُ الثرى نجوع

ما مرَّ عامٌ والعراقُ ليس فيه جوع⁽¹⁰⁾

لقد ساهمت البيئة العراقية في تشكيل مخيلة بدر الفنية
بعد أن اكتملت إدراكاته عن هذه البيئة المحلية الخاصة
بالجنوب، وغدت من أهم ذخائره الثقافية ، ونستطيع
القول إنَّ كلَّ شعر السيَّاب ينضوي تحت سيطرة الطبيعة
وتجلياتها، وتسربت مفاهيمها ومسميات مشخصاتها إلى
فنه الشعري، فقد استطاعت البيئة العراقية أن تفرض
نفسها على أساليب الشعراء العراقيين جميعهم وعلى
أدواتهم الفنية ولغتهم الشعرية .

في أرض العراق الخصيبة ، تشبع الغربان في موسم
الحصاد، بينما يجوع البشر الدائرون حول الرحي التي
تطحن أجسادهم الهزيلة وأرواحهم الذليلة ، فلم يجد
السيَّاب بداً من توظيف أحوال البيئة الزراعية وأدواتها

للتعبير عن أحوال القهر الاقتصادي والاجتماعي
والسياسي ؛ لتسليط الضوء الأخضر على أزمته
الشخصية وأزمة الناس من حوله :

وفي العراق جوع

ونثر الغلال فيه موسم الحصاد

لتشبع الغربان والجراد

وتطحن الشوان والحجر

رحى تدور في الحقول ... حولها بشر⁽¹¹⁾

ومن قصيدة «أنشودة المطر» التي يرواح فيها
الشاعر بين المطر الثورة، والمطر الغيث، فيأتي أحياناً
بالمطر الغيث الذي عشب به ثرى العراق وتنثر الغلال
فيه مواسم الحصاد دون أن يأتي بقرينة فارقة بين المعنيين
إلا ما كان من معرفة القارئ للمعطيات الخارجية للنص
كقرائن سياقية ، وهي الأحوال السياسية في العراق :

ومنذ أن كُنَّا صِغاراً، كانت السَّمَاءُ

تَغِيْمُ في الشتاء

ويَهْطُلُ المطر⁽¹²⁾

وسنقتصر على قصيدة «أنشودة المطر» في البحث
عن الدلالة المقصودة ، قصيدة الأمطار تتساقط فيكون
منها المطر الموت والمطر الحياة⁽¹³⁾.

ابتدأت القصيدة بمقطع من أجمل مقاطع افتتاحيات
قصائد الشعر الحديث على الإطلاق، وجاء به على سنة
الأولين، متخذاً من أثر العيون في النفوس محركاً للإقبال
والإصغاء، والعيون تمش القلوب والأفئدة للهوى
والصَّبابة والطرب والانجذاب، فتروّض القلب القاسي
العنيد، وترقق الأخلاق الصعبة.

و سيشعر القارئ بعد قليل بخسارة هذا
الإحساس، عندما نتعرف إلى كاف الخطاب تلك، وما
هما هاتان العينان؟ ولمن تعودان؟ وهل هما عينا محبوبة
آدمية؟ أم غابتا نخيل مدلهمة ساعة السحر!!

فما أن تتجلى النفس وتمش نشوى ببداية المقطع

السلطة الموت سلاحاً تسلطه على الإنسان، وعلى قضيتة الإنسانية مستفيداً في ذلك من حالات استلاب الوعي الجماهيري⁽¹⁶⁾.

وتلمح الآصرة بين ديوان أعاصير وأنشودة المطر أنّها تكمن في وحدة الموضوع إلا أن الموضوع في الثاني يبدو أكثر شمولية وأشدّ عمقاً وأكثر تنوعاً في الأساليب التي يتوخى منها أن تحقق الهدف في إشعال الثورة، والثورة عند بدر أمر طبيعي⁽¹⁷⁾، وهي منتظرة وقادمة لا محالة⁽¹⁸⁾.

بعد أن فشل بدر في تثوير عرب بغداد والأكراد، انحدر إلى جنوب العراق، إلى البيئة التي تربى فيها والطبيعة التي شكلت شخصيته وميوله، وصاغت مخيلته، وسيطرت على عقله الفني طيلة عمره الفني، لجأ إلى حاضرتي الجنوب « البصرة والكوفة » خاصة؛ وإلى الرجال الأهلين فيهما، والبصرة والكوفة حاضرتا العراق زمن الأمة الأول.

وقد يوفر النصّ قرائن مفيدة تحمل دلالات مخبأة تحت الألفاظ، إذا ما عثرنا عليها استقام لنا وجه المعنى:

عَيْنَاكَ غَابَتْ نَخِيلُ سَاعَةِ السَّحَرِ
أَوْ شُرْفَتَانِ رَاحَ يَنَآى عَنْهُمَا الْقَمَرُ
عَيْنَاكَ حِينَ تَبْسُمانِ تَوَرَّقُ الْكُرُومُ
وَتَرْفُصُ الْأَضْوَاءُ كَالْأَقْمَارِ فِي نَهْرِ
يَرْجُهُ الْمَجْدَانُ وَهَنًا سَاعَةِ السَّحَرِ
كَأَنَّمَا تَنْبِضُ فِي غُورِيهِمَا التُّجُومُ.

يقول إحسان عباس: «إنّ التجربة الإيرانية الكويتية ردت السيّاب رغماً عنه إلى فرديته، حين جعلته يحسّ بالغربة العميقة، ولكنّه لم يلبث أن ربط بين نفسه ووطنه، فإذا هو والعراق شيء واحد، وتجلّت الوحدة الكاملة بينه وبين العراق في قصيدة «أنشودة المطر»⁽¹⁹⁾ ويعلن عن إحساسه الجديد صراحة في قصيدته «غريب على الخليج»:

حتى تصل إلى كلمة «السحر»، عندها يقف الخيال حائراً في إيضاح الصورة، وإيجاد علاقة بين العين وغابة مدلهمة عند السحر؛ فالعين حوراء (سواد وبياض)، وإطلالة، وإبصار، وإضاءة، وإحساس غامر، يبعث لحظها في النفس القانطة رسيس الهوى ونشوة المتعة.

أما الغاية وقت السحر فعلى العكس من ذلك كلّ: مظلمة، بؤرة خوف وسقوط، مخيفة، جامدة الأحاسيس، معدومة الإضاءة ضيقة مجال الإبصار، تبعث على الكآبة والضيق، فلذلك يقول بدر في قصيدة «غريب على الخليج».

هي النخيلُ أخافُ منه إذا أدلهم مع الغروب
فاكتظّ بالأشباح تخطف كل طفل لا يؤوب
من الدُّروب⁽¹⁴⁾

لقد حاول بدر تثوير بغداد، برسم الواقع المرير، وكشف مدى فضاغته، و ترديه أمام أعين الشعب، وتحميل الشعب مسؤولية القيام بحركة النضال والثورة ضد المستعمر الحليف لأنظمة الحكم، التي تقوم مقامه في إذلال الشعوب، ومصادرة خيراتها، وحكمها بالحديد والنار، ونشر الفقر والجهل والتخلف والعجز، وإن تراكم الظلم لا بد أن يولّد الثورة؛ لأنّ المقاومة تولد من الموت، فالموت الذي يطوق الشعب لا يزيده إلا إصراراً على المقاومة، وأنّ النصر للمظلومين حتماً، ولا بد للقيّد أن ينكسر، وأن يندحر الطغاة⁽¹⁵⁾.

لقد كانت دعوة بدر للثورة في ديوان أعاصير الذي يمثل المدة من 1946-1948م دعوة صريحة موجهة للشعب بحمل مسؤولية الكفاح ضد المستعمر وأعدائه من الحكام، اللذان يُعدّان وجهين متشابهين لقطعة نقدية واحدة، يرتبطان بالمصالح والرؤى والمصير، وتجد السيّاب في ديوان أنشودة المطر يتراجع عن الدعوة الصريحة، ويتخذ الرمز منجاة له من ملاحقة السلطة وبطش رجالها، فعمد إلى الاكتفاء بفضح الأوضاع المأسوية التي ترسم فيها صورة الطغيان في استخدام

صوتٌ تفجّر في قرارة نفسي الشكلي: عراقٌ
كالمَدِّ يصعد، كالسحابة، كالدُموعِ إلى العيونِ
الرَّيحُ تصرخُ بي! عراقٌ
والموجُ يعولُ بي عراقٌ، عراقٌ، ليس سوى
عراقٍ⁽²⁰⁾

لقد جمعت الغربة السيّاب بوطنه في لقاء حميمي لم يستشعره قبل ذلك، فرّ من العراق هارباً إليه، فقد كان الملتقى مابين روحه ووطنه هناك في الكويت، والكويت على مسافة غلوة فرس من نهر بويب، نهره الحبيب، فإذا هبت رياح الشمال مساءً، كاد أن يشم رائحة طينه المعطور وهو في شقيقته، وتلتهم أطلال جيکور في روحه كما يلتهم السراب في عيني الظمآن. و تعرّف السيّاب على وطنه أكثر وهو خارجه، فقد بدت له الصورة أبشع عندما خرج من إطارها، وشاهد بألم عينه، وقارن كيف تعيش الشعوب حولهم! فانشغل عند ذلك بموم وطنه ومشكلات الناس فيه، وهم يزرعون تحت طائلة الفقر والجوع والحرمان دون ذنب أو جريرة، سعى سعيّاً فنياً للبحث عن الحلول الناجعة لهذه الأوضاع التي أرقتّه، وأنسته همومه الشخصية، فغابت «الأنا» في نفسه، وغابت نفسه هي الأخرى بشهواتها المتسلطة على كيانه قبل ذلك، ورغباتها الجاحمة في أعماقه، وأخيراً ذابت روح بدر في نسغ وطنه العراق، واتسع العراق في نفسه حتى شمل كلّ إحساس طيّب، وغدا رمزاً لكلّ مجاهدٍ صادق، وشهيد حق، وعنواناً لكلّ قيمة إنسانية عالية، فالعراق أصبح المحبوبة:

أحببتُ فيك عراقَ رُوحِي - وحببتُك
أنتِ فيه⁽²¹⁾

وإذا ما عدنا إلى الافتتاحية نجسّ كلماتها جسّ الطبيب الماهر، كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً، ستفتح أمامنا مساحات من الاستبصار تضيئها معطيات البيئة

الخارجية للنص المتعلقة بالشاعر وظروفه النفسية، وعلاقته مع النظام الحاكم في بلده وموقفه منه:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر

إنّ المستقرئ للحالة النفسية لبدر عندما قال هذه القصيدة، يستقر لديه أنّه لم يبق لدى الشاعر مساحه للغزل المعروف، ولم يعد له رسيّ في صدره الضيق المهموم، وجسده المنهك من السّفار، وقلة المال وضيق اليد، وقد كبر على الهوى والصّبابة، والصّبابة مظنة الشباب، الذي فارقه مبكراً مضطراً تحت سياط المرض والجوع والخوف والنفي والحرمان، وفقد الملاحاة في الوجه ومفارقته ماء الشباب.

فعلى ما يعود الضمير «الكاف» الملحق بالعينين؟ يقول إيليا حاوي: «إنّ ما يعقب هذا المقطع يرجّح لنا أنّ المرأة، امرأة الحب والشهوة غائبة عن خاطر القصيدة، وليس وصف العينين إلا نبذة انطلق منها إلى ما دوّنها، ثم إنّها تنمحي وتتعلّق آثارها في المهموم الأخرى التي تتداولها القصيدة»⁽²²⁾.

وبعد التحري عن هاتيك العينين فيما سبق من أوراق البحث يتقرر لنا أنّه يخاطب العراق، وأن الكاف الملحقة بمما تعود إلى العراق.

يؤيد ما ذهبنا إليه القرائن الآتية:

انقطاع الشبه بين العين الآدمية المبصرة وغابة نخيل مخيفة مظلمة ساعة السحر؛ لأنّ العينين لا تلتقيان، على المدى السطحي، مع الغابة «غابتا نخيل ساعة السحر» بعلاقة من علائق التشبيه التقليدية⁽²³⁾، فلا وجه للشبه بين العين المبصرة والغابة المظلمة بتاتاً، وعلى الرغم من ذلك استخدم الشاعر التشبيه البليغ، دون استخدام حرف التشبيه أو بيان وجه الشبه؛ وذلك لتقوية المعنى وتوحد المتشابهين في عقله الفني. ويجب أن تكون العلاقة مبررة في الجاز واعتباطية في الحقيقة.

الخضرة، لذلك ربط الغابة بالسحر، فحذف المشبه واستعار بدلا منه المشبه به، فتخيل السياب غابة النخيل في كل مدينة من المدينتين وقت السحر وكأَنَّها رجال من أهل الجنوب، وقد اصطفوا بجانب بعضهم بعضاً كالجند ليلاً في انتظار الأوامر ساعة الصفر، وهم بكامل عددهم الحربيّة، ومستعدون للحركة، أي حركة الثورة على بغداد، فهو يهدد بغداد بأهل الجنوب مخزن الرجال الأشرار الذين سيشعلون نار الثورة على الطغيان .

عينك يا بلدي العراق كتيبتا رجال من أهل الجنوب أشداء يشبهون صفوف النخيل ساعة السحر، والسياب بهذا الدفع التعبوي، يغري الرجال في عيني العراق في الجنوب بالثورة لتوفر العدد والعدة والهمة العالية وهي من أهم أسباب النصر والنجاح، ويطمئن العراق بقدرات شعبه في هاتين المدينتين من جانب آخر، ويشدّ من أزرهم ويقويهم برفع معنوياتهم، ويهدد بهما حكام بغداد، ثم يُخَيِّرُهُمَا مستخدماً في ذلك حرف «أم» ، ومحدّراً إيّاهما: فأما أن تكونا مستودعين يمدّان الثورة بالرجال أو شرفتين قد ابتعد عنهما ضياء الحضارة والعلم والتطور، وقد غشيتهما الظلام الحضاري :

أَوْ شُرَفَتَانِ رَاحَ يَنَآيَ عَنْهُمَا الْقَمَرُ

ونعلم أنّ «البصرة والكوفة» كانتا مصدرين للإشعاع العلمي والحضاري، فشبههما بشرفتين، والشرفة مطلّة، تحمل معنى العين في الإبصار، والرؤية، والاستشراق.

وإذا ما قبلنا هذه القراءة وانطلقنا منها، فقد استهلّ لنا وجه المعنى واستقام، واتّألب بنا الطريق في تأويل كلّ مقاطع القصيدة .

لقد أهملت البصرة والكوفة في العصر الحديث، فغرقتا في موجة من التخلف والفقر والحرمان، وما هما إلّا كالبحر فيما تزخران به من كنوز، فهما أرض النور

لقد شغفت بيئة الجنوب فؤاد السياب، سكن بها وسكنت فيه، وانعكست في عقله الفني إحساساً وفكراً ورؤى، وكونت أسس ثقافته الأولى، يلجأ إليها كلما حزبه أمر، وكلما أزفت أزمة وأعيته على الحل؛ فأنسناها وخاطبها شاخصة أمامه كائناً حياً بسكونها وحركتها ومشخصاتها الجامدة والحية أينما كان ؛ أكان داخلها أم خارجها؛ متغزلاً بها معشوقة، ومشتاقاً إليها محبوبة، وباتاً إليها همومه وآهاته الحزريّة: الشخصية، والوطنية، والقومية، والعلمية، يحملها ما تنوء بحمله من الرموز السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وهي طيّعة ومتجاوبة مع تكتياته وتشبيهااته، واستعاراته، وصوره، وناهضة بكل أدواته الفنيّة، يتدثر بثوبها، ويدوب في رائحة طينها المعطور دون أن يكون الوصف مقصده، ولا عاطفة الإعجاب بجمالها دافعه للنظم .

ففي ضوء هذه العلاقة الحميمة بين السياب والبيئة، وفي ظل هذا العطاء البيئي الفيّاض، يظهر علينا النصّ بحلّة جديدة، وبدلالات كانت غائبة تحت ركام الألفاظ في معانيها السطحيّة المباشرة، بعيدة عمّا دار في الشروح المختلفة لهذه المقدمة فيما سبق من أبحاث ودراسات تناولت القصيدة :

وعينا العراق الأوليتان البصرة والكوفة، فالبصرة عين العراق على الشرق، والكوفة عين العراق على الصحراء، وسميت البصرة بأُمّ العراق، ويخاطبها الشاعر الفلسطيني عبد الرحيم عمر بعين العراق: ضاقت العين وكلّ الخطو فجرّ يا عراق

سُبُلًا في الماء كي يخطو حائر

كلّ سهلٍ كلّ رحبٍ فيك ضاق

مَثُّ يا بصرةُ يا عين العراق

أو لا تدرين عني أي عاثر⁽²⁴⁾

البصرة والكوفة حاضرتا العراق في أرض السواد، بلاد النخيل، وقد مال لونهما إلى السواد من شدة

والعلم والفتوح والنخيل والثروة النفطية والسومية. إنَّ بإمكان الناقد تأويل كلِّ مقطع من مقاطع القصيدة في ضوء هذا المقام، مقام نشدان الثورة والمقاومة بوصفه حلاً وحيداً للخروج من هذه الأزمات التي يعانيها شعب العراق .

ونصل إلى المقطع المتكرر:

مَطَرٌ مَطَرٌ مَطَرٌ

أزاح بدر مصطلح المطر عن معناه المعروف المتمحور حول الإرواء والسقيا، دون أن يأتي بقرينة لفظية مانعة لورود المعنى الأصلي، إلا ما أورده من أحوال بيئية، ترمز إلى القهر السياسي، والحرمان الاقتصادي، وتقييد الحريات المدنية، وتكميم الأفواه، وسفك الدماء لأبسط سبب .

لم تكن القرائن المانعة من ورود الدلالة الأصلية للمطر عند السياب في هذه الأنشودة واضحة ، واكتفى بدر بالقرائن السياقية التي لم تكن هي الأخرى كافية ، لذلك لم تصل الدلالة الجديدة لمطر السياب بوضوح للمستهدفين من أهل الجنوب، وجلهم من المزارعين ، والفقراء من متوسطي الثقافة ، وأقنان الأرض والعيبد ، بينما أثبت قرائن كافية في قصائد أخرى وظف فيها المطر في غير ما وضع له ، حيث يقول في قصيدة « حفر القبور » :

فَلْتَمَطَّرْنَهُمُ الْقَذَائِفُ بِالْحَدِيدِ وَبِالضَّرَامِ

وبما تشاء من انتقام

من حمياتٍ أو جذام⁽²⁵⁾

فكان صوته مبوحاً وكانت دعوته للثورة على نظام بغداد صيحة في واد، ولكن عذيره في ذلك هو خوفه من الملاحقة والعقاب، وإبقاءً على حياته في مآرق الموت الأحمر.

مطر مطر مطر

الثورة ثم الثورة ثم الثورة، مكرراً كلمة مطر ثلاث

مرات وهو أسلوب التأكيد المعروف والشائع بالكلمة نفسها ؛ فاللفظة الأولى يشير بها إلى الحل للوضع الذي وصفه بالمقطع السابق ، واللفظة الثانية والثالثة تؤكد لفظي لها، وتشديداً على أنَّ هذا هو الحل الوحيد الناجع ، وكان أحياناً يأتي بها مرتين حسب فضاغة المشهد الذي يصفه ، كما هو في المقطع الآتي :

كَأَنَّ طِفْلاً بَاتَ يَهْذِي قَبْلَ أَنْ يَنَامَ:

بِأَنَّ أُمَّهُ الَّتِي أَفَاقَ مِنْذُ عَامٍ

فَلَمْ يَجِدْهَا، ثُمَّ حِينَ لَجَّ فِي السُّؤَالِ

قَالُوا لَهُ: «بَعْدَ غَدٍ تَعُودُ

لَا بُدَّ أَنْ تَعُودَ

وَإِنْ تَهَاوَسَ الرَّفَاقُ أَنَّهَا هُنَاكَ

فِي جَانِبِ التِّلِّ تَنَامُ نَوْمَةَ اللُّهُودِ

تَسْفُ مِنْ تُرَابِهَا وَتَشْرَبُ الْمَطَرَ

كَأَنَّ صَيَاداً حَزِيناً يَجْمَعُ الشِّبَاكَ

وَيَلْعَنُ الْمَيَاةَ وَالْقَدْرَ

وَيَنْشُرُ الْغِنَاءَ حِينَ يَأْفُلُ الْقَمَرُ

مَطَرٌ

مَطَرٌ

لقد مثلت الأمُّ في كلِّ ثقافات البشرية أسمى المعاني، فهي الحزن الدافئ الصادق، والوحيد، «وكانت الأم حاضرة في أدب وادي الرافدين في الرخاء والشدة، وكانت الحزن الدافئ، والحارس الأمين للأبناء ذكوراً، وإناثاً، أدرك ذلك الأدباء والمفكرون، وخلدوه في تراثهم الأصيل»⁽²⁶⁾.

فما هي الأمُّ عند السياب؟ ولعل السياب نتيجة يتمه مبكراً تعاضم عنده الإحساس بفقد الأم، وبفقد الأمُّ تفقد الحياة أحلى مباحجها، فالأمُّ مستودع الحنان والعطف والشفقة، والأمُّ اللطف والصدق والشفافية ، والأمُّ الفضيلة والأرض والوطن والعطاء والحياة كلها،

كأنه النشيج

و راود الشاعر أمل في عقله الفني بالمساعدة من الخليج العربي، فهذا هو ينشد دول الخليج الأخوة العربية لمساعدة العراقيين الفارين من سياط الحكم في العراق ، ومؤازرتهم للسيطرة على ثرواتهم واستعادة حقوقهم، ولكن يرجع الصدى، وكأنّ الخليج جدران صماء تردّ الصدى نشيجاً وتشاؤماً وإحباطاً ، وعندما يأس بدر من وقوف العالم مع شعبه المقهور، وقد وقف هو بشعره مع كلّ ثورات الشعوب في العالم وآلامها⁽²⁷⁾، يأس من إخوة دول الخليج، وقد كانت رِدته إلى العراق، واتحاد روحه معه بسبب موقف هذه الدول بعد تجربته الكويتية الإيرانية خاصة⁽²⁸⁾؛ لذلك أيقن أنّ العراق يجب أن لا يعتمد على أحد في تحرير أرضه وثروته، فصاح بالخليج مستهوناً فعله وقدرته على مد يد المساعدة للعراقيين، وأنّ لدى العراق القدرة الكافية للنهوض بأوضاعه وحلّ مشكلاته عبر الثورة والمقاومة والتحدي :

يا خليج

يا واهب المحار والردي

أكاذ أسمع العراق يدخر الرعود

ويخزن البروق في السهول والجبال

حتى إذا ما فض عنها ختمها الرجال

لم تترك الرياح من ثمود

في الوادي من أثر

ولاح الفرج في عقل السيّاب الفني ، وبدأ حلمه يتحقق بقبول النخيل (الناس) فكرة الثورة ، وبدأت بوادر الثورة تهلّ بالبشرى:

أكاذ أسمع النخيل يشرب المطر

وأسمع القرى تننّ، والمهاجرين

يصارعون بالمجاديف وبالقلوع

عواصف الخليج، والرعود، مُنشدّين

فالأمّ الوطن الذي مات ولكنه سيعود، وإن دبّ اليأس في نفوس الرّفاق الثوريين بالنجاح وقرب الخلاص نظراً لصعوبة الوضع ، وقلة الإمكانيات في مقابل قوة النظام في بغداد، وإحكامه على الأوضاع جميعها، وامتلاكه المال، والرجال، والقوة، ودعم الحلفاء .

ففي هذا المقطع الذي حمل موت الأمّ إشارة إلى موت الحياة في العراق، ولم يرحم هذا الموت القاسي أحداً، حتى الصياد الفقير، الباحث عن لقمة يسد بها رمق أطفاله الجياع العراة والذي يمثل سواد العراق ، حيث يتحداه القدر المتمثل بالظلم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، ولا يستطيع أن يبوح هذا الصياد إلّا بعد أن يغيب القمر في جوف الليل وحيداً، مبحوح الصوت كالشاعر في دعوته للثورة، لا يسمعه غناءه أحد .

عندما اكتُشفت الثروات في الخليج العربي، ومنها ثروات العراق النفطية العظيمة ، ظلّ المستبشرون أنّ العراق سينهض بهذه الثروة العظيمة ، و ستنتقل العراق إلى دول العالم الأول، إلى مصاف الدول الغنيّة، بكل مواضع هذه الدول المدنية ؛ كالحرية الاجتماعية ، والاكتفاء الاقتصادي للجميع ، وتوزيع الثروات بعدالة ، واحترام حقوق المواطنة، ولكن ذلك لم يحصل في العراق على الرغم من ثروته النفطية الهائلة، ولمنع الشروق في ربوع العراق دثر بغطاء ثقيل من دماء الناس ومنعت النهضة بالقوة :

وعبر أمواج الخليج تمسح البروق

سواحل العراق بالنجوم والمحار

كأنها تهّم بالشروق

فيسحب الليل عليها من دم دثار

أصبح بالخليج: «يا خليج»

يا واهب اللؤلؤ، والمحار والردي»

فيرجع الصدى

مَطَرٌ مَطَرٌ مَطَرٌ

والأحلام العقلانية التي يمثّلها الإبداع الفني تبدو لصاحبها وكأنّها عملية عقلية من عمليات الحياة العقلية أثناء اليقظة⁽²⁹⁾ وأخيراً بدأ الخليج يرُدُّ الصدى بالمطر والثورة :

وأسمعُ الصدى

يرنُّ في الخليج

مَطَرٌ ... مَطَرٌ ... مَطَرٌ

ويطمئن السيّاب الثوار بأنّ الثورة لن تُسَرِّقَ ، وأنّ كلّ جهد فيها مقدّر، ولن تضيع نقطة عرق أو قطرة دم، فهي رصاصة وصيحة وابتسامة في انتظار غد باسم للعراق وللمعذّبين وللفقراء والجياع والصابرين على لظى الثورة فيه ، وما تُخْلِفُ من دماء وأشلاء أجساد عزيزة، ونفوس زكية ، كانت حطباءً ضرورياً لقيامها ونجاحها ، وأخيراً ... يهطل المطر:

في كلّ قَطْرَةٍ من المَطَرِ

حمراء أو صفراء من أجَنَةِ الزَّهَرِ

وكلّ دَمْعَةٍ من الجِيعِ والعُراة

وكلّ قطرة تُراق من دَمِ العَبِيدِ

فهي ابتسامٌ في انتِظارِ مَبَسَمٍ جَديدٍ

أو حَلْمَةٍ توردتُ على فَمِ الوليدِ

في عالمِ الغدِ الفتّي، واهبِ الحياة

وَيَهْطُلُ المَطَرُ ...⁽³⁰⁾

واستُجِيبَتْ دعوة بدر للثورة على النظام الحاكم في بغداد بعد أربع سنوات ، حيث أطاحت ثورة 14 تموز 1958 بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم . وهو من أهل الجنوب⁽³¹⁾ . بالنظام الملكي في بغداد، ولا أدّعي أنّ هذه الثورة كانت بفعل نشدة بدر للثورة في «أنشودة المطر» ، حيث أنّ بدرّاً لم يعوّل بالقيام بالثورة على الجيش ، وإنّما كانت الفئة المستهدفة التي

عوّل عليها بالقيام أولاً بالثورة هي الطبقات الكادحة من الفلاحين وصغار الموظفين والفقراء ، بدافع تردي الأوضاع في جنوب العراق ، وكان بدر يصورهم بأنهم سيكونون وقود الثورة في قصيدته، وحطبها، وأكثر المتضررين ، وسيكونون هم بعد ذلك أكثر المستفيدين بعد نجاحها.

ولهذا وجد بدر في ثورة قاسم حقيقة زوال الكابوس الفادح ، وأحسّ أنّ ما تمناه طويلاً ونادى به قد تحقق ، فحيّاه بقصيدة لم تنشر في واحد من دواوينه ؛ لأنّه توجّس خيفة بعد حين من سيطرة العسكر ، وكان يتمنى أن تكون الثورة مدنية؛ ليتسنى له القيام بدور كبير فيها ومن ثم جني شيء من مكتسباتها ، وأخيراً تحقق ما توقع فانخرقت الثورة عن مسارها ، وتهاوت الآمال إثر الانقسامات والحزات التي عصفت بالمجتمع والدولة آنذاك ، فقد أخذ قاسم يضرب فيها بين القوى المختلفة ، ويدفع بموجة من موجات تلك القوى إلى أقصى اندفاعها ، ثم يثير موجة أخرى لتكبحها⁽³²⁾ حتى احتيج إلى ثورة ثانية لإصلاح ما أفسدته الثورة الأولى .

لم يتسرع بدر بنشر قصيدته التي يمالئ بها الثورة ، لإحساسه بأنّ ليس هذه هي الثورة التي يريد ، ولزيف في عاطفته اتجاهها، أخفى قصيدته تلك ؛ لأنّه لم يرضها في صورتها الأولى ، فهي بحاجة إلى أن يُجِيلَ فيها عقله ويقلّب فيها نظرة خوف النقد من المتربصين به ، وقد كان وقوفه مع الثورة في بداياتها محاولة لضرب الشيوعيين وللانتقام منهم ، حيث حملهم مسؤولية فصلة من عمله هذه المرّة ؛ ولينأى بالثورة عن اليسار المتطرف .

فاستعاض بالمقالات الصحفية عن الشعر ، فكان أحد كُتّاب جريدة الحرية ، حيث يقول في أحد مقالاته : إنّ السياسة التقدّميّة التي يتبعها زعيمنا الأوحد هي خير ضمان بأنّ الشيوعية لن تجد لها مكاناً مناسباً في

كل شيء ، حتى أنه لم يدفن في قريته جيکور التي طالما تغنى بها ورآها فردوساً في أحلامه ، وكم تمنى أن يرقد في نهره الحبيب «بويب» ، رمز الخير والصفاء والمحبة ! وأخيراً وريّ جثمانه في الزبير ، من أعمال البصرة ، يرافقه عدد ضئيل جداً من الناس الذين فهموه ، حيث أنّ الغالبية من أبناء الشعب العراقي وأهل الجنوب خاصة لم يفهموا شعره ولم يستجيبوا لندائه؛ لتلفعه بالرمز وتخفيه تحت الأسطورة تقيّة .

وا حسرتاه ... فقد بُحَّ صوتك يا أبا غيلان ، وأنت تستنهض الفقراء صباح مساء ، ولكن لا حياة لمن تنادي ، فالناس كانوا أشبه بالأموات والنيام ، فم بينهم بسلام وقد حققت أمنية وحيدة من أمنيات كثر كنت تمنّاها وهي النوم في أرض العراق ، ونصب له تمثال على شطّ العرب في البصرة قائماً يحمل ديوان شعره، شاهدته وقد اخترقت الديوان الذي يحمله بيده رصاصة مشحونة غضبي من أثر الحروب، وقد كُتِبَ على قاعدة التمثال الرخامية أمنيته الشعرية:

وا حسرتاه متى أنام

فأحسُّ أنّ على الوسادة

من ليّلك الصيفي طلاً فيه عطرك يا عراق ؟ (36)

الخلاصة :

تفرد أنشودة المطر بين قصائد مرحلتها ببعدها عن الأسطورة ، على الرغم مما صدرت عنه بعض الدراسات وخرجت به في أنّ القصيدة عبارة عن ترجمة شعرية لأسطورة تموز أو عشتار ، وعدت المخاطب في مطلع القصيدة هي عشتار إلهة الخصب عند البابليين (37). وتتميز أيضاً بانضوائها الكامل تحت سعف البيئة العراقية في الجنوب، وبقرّبها من الواقعية والمباشرة ، ولولا التدثر بأخلاق البيئة وأرديتها الخضراء خوفاً من البطش والملاحقة ، وأنّ التصريح بالشعر يزري لكانت القصيدة عبارة عن أوامر و مواعظ ومناشدات

العراق ، إنّ الفلاح بعد أن وزعت الأرض عليه بموجب قانون الإصلاح الزراعي لن يجد في الشيوعية ما يغريه ... والعامل أيضاً نال حقوقه في عهد الزعيم الأمين (33).

وأعلن في مقال آخر قطع علاقته الفكرية مع الشيوعية ، حيث يقول : وها أناذا اليوم ...أحارب في رزقي في عهد الزعيم الفدّ عبد الكريم قاسم ؛ لا لأنني ضد الجمهورية ، بل لمجرد أنني أحبُّ عبد الكريم قاسم أكثر مما أحب خرشوف أو ماركس أو لينين (34).

وعندما لم يستطع بدر مؤازرة الثورة بشعره ؛ حيث إنّ بدرّاً لم يكن مقتنعاً داخلياً بهذه الثورة ؛ ولأنّ الشعر يصدر من أعماق النفس ، وهو ينبوع غير مسيطر عليه من قبل العقل الواعي ، تجده ينعي خيبة أمله في هذه الثورة ، وما وصلت إليه أحوال الشعب العراقي من الاضطراب والحيرة والخوف والاستلاب ، ومن تردي الأوضاع كافة ، ملتحفاً بالبيئة ومعطياتها في أنّ الربيع الذي أقبل ليس هو ربيع الثورة المنشود، فقال متألماً في قصيدة السندباد :

يا أيُّها الربيع ما الذي دهاك

جئت بلا مطر

جئت بلا زهر

جئت بلا ثمر

وكان مُنتهاك مثل مُبتدك

يلفُّه النجيع (35)

وطال انتظار بدر للثورة التي تشبه المطر الذي يريده ، يغسل الأدران والأوحال ويحيي الموات في أرض العراق ، ولم يأت بعد ، فقد أبطى عليه ربيع الثورات العربية قليلاً، ومات غربياً في المستشفى الأميري في الكويت في 24 / كانون أول / 1964 ، ونقل جثمانه إلى البصرة .

عاش بدر محروماً من كل شيء ، ومات محروماً من

كانت قصيرة ، فغافلتها الحياة واغتالت منه أمّه في غفلة منه ، فسأل عنها ، فقالوا له : غداً تعود لعل القلب يسلوها ، ولكن أئني له ذلك . فكيف يسلوها ، وهل يسلو الإنسان أمّه ! ويسلو هذه الأرض التي سفت من ترابها في لحدها هناك ، وتشرب من مطرها كلما غامت السماء وهطل المطر ، وهو بعيد يلوب :

بين القرى المتهيبات خطاي والمُدن الغريبة
غنيّت تُربتك الحبيبة (39).

كيف سيعود من كان تنقصه النقود ، وهو مطارد ومطلوب للنظارة في أول مخافر العراق ، مخفر سفوان (40)، وما الحلُّ يا ترى ؟ وما الذي يطفئ حنينه الجارف إلى بلاده ؟ فجال في عقله الباطني ، فأجابه عقله الفني بالدعوة إلى الثورة ، بحيث تبدأ أولاً من الجنوب ليعبر الحدود دون اعتقال وامتهان وحبس ، ثم ليكون له شرف المشاركة بها .

فبدأ بإعداد العدة الفنية للثورة ، واستعرض الوضع التعبوي، ففكر وقدّر أنّ رجال البصريّين (البصرة والكوفة) عيني العراق ، بهم سيتحقق الأمل المنشود ، وفيهم كفاية وبأس وعزيمة ، ثم لكي يدفع المدينتين للانخراط في الثورة حذرهما ؛ أمّا الثورة والشرف أو الموت بسكون ومذلة :

عينك مستودعا رجال يشبهون غابتي نخيل وقد اصطف بجانب بعضه بعضاً ساعة السحر، فهو منظر مرعب ومخيف في الليل المدلهم ، وله رهبة في النفس، لا خوف من قلة في العدد ، وسيكون هولاء الرجال مدد الثورة، ولهم قدرة هائلة ، والتحذير المبطن « أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر » .

هذان هما الخياران المتوفران ، وكلاهما مرّ ومرعب ومخيف . ثم يؤملهما بالنجاح والنصر، وعندئذٍ سيفرح العراق كلّهُ ؛ الناس والطبيعة .

وبعد ذلك يبدأ باستعراض الأوضاع ، وكأنّ الناس

وصيحات استغاثة وتحريض، مترجمة حالة الشاعر الانفعالية وحاجته في إيصال ما ينتويه من هذه القصيدة إلى أناس متوسطي الثقافة من الفلاحين والعيبد وأقنان الأرض والصيادين والفقراء من أهل البصرة والكوفة، المنسيتين منذ زمن ، واللّتين بدأت أضواء الحضارة بالابتعاد عنهما في هذا الزمن، كشرفتين راح ينأى عنهما القمر، فعاد إليهما الظلام ، وكانتا قبل ذلك شرفتين للعلم والمعرفة ، انبلج منهما في صدر تاريخ هذه الأمة وهج أضواء السبل للسالكين في دروب العلم والمعرفة في العالمين العربي والإسلامي .

وتنفرد أيضاً بغياب طيف المرأة المعشوقة منها ، وارتفاعها عن الأنا الخاصة المتمثلة بتعلقه الشديد بجيكور وأبي الخصيب ونهر بويب ، وملاعب الطفولة والصبا ، فلا يذكر منها شيئاً على غير عادته عند ذكر المطر ، حينما كان المطر مطراً للفرح واللعب والشقاوة ، وكان الأطفال يرددون معه أهازيج الحارات الشعبية:

يا مَطَرُ يا حَلْيِي ... عبّر بنات الجلبلي

يا مَطَرُ يا شَاشَا ... عبّر بنات الباشا (38)

فإنّ أجمل فوائد المطر في أرض الجنوب فرحة الصبيان، أمّا وقد تغير منظر المطر ودوره عندما وعى بدر الحياة وأفاق من الصبا ، إذ هي غول ، تغتال الفقراء والضعفاء والمساكين ، و تغورهم «خطية» دون رحمة أو رفق أو شفقة .

وقف الغريب في الكويت يسرح البصر إلى بلاده وأهله في جنوب العراق في محافظتي البصرة والكوفة ، فهاله ما رأى من البؤس والفقر والضييق والقهر والقلّة والحرمان وامتزجت تلك المشاهد بحبه الجارف لتلك الديار وتلك التربة التي درج عليها ، وفيها أجمل ذكرياته ؛ وطالما تذكر وهو يقبض بيد على أطراف ثوب أمّه حتى أنه يكاد يعيقها عن الحركة ، ويمسك بيده الأخرى ثمرة برحيّة من نخل بلاده الحنون، يقات بها حتى ينضج الطعام للجميع ، ولا عيب في هذه السنوات غير أنّها

في هاتين المدينتين يشكون له الأوضاع البائسة ، وضعاً

وضعاً ، فيقول لهم الحل الوحيد : الثورة ... الثورة

، مطر... مطر ، ولم يترك بؤساً في العراق إلا ساقه

لدفعهم إلى الثورة دفعاً؛ لتخليصهم من عذابهم وبؤسهم

وحرمانهم ، وكأنّ الإصلاح السلمي لا يجدي في مثل

حالة العراق ، فقد اتسع الخرق على الراقع ، ولا بد

من الثورة ، ثورة شاملة تجهز على كلّ شيء ، لا تبقي

ولا تذر ، وتظهر كلّ ما يبقى من الأرجاس على أرض

العراق . كطوفان نوح(عليه السلام) . منطلقاً من أرض

نوح في جنوب العراق ثم تنبعث الحياة من جديد ،

وتتورد الحلمة على فم الوليد ، في الغد الفتي ، واهب

الحياة .

الهوامش :

1 بدران ، أبو الفضل : النقد الأدبي البيئي، مجلة العلوم

الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمارات، 2005م، ص215

2 عصفور ، جابر : الصورة الفنية في التراث النقدي

وبلاغي عند العرب،المركز الثقافي ، بيروت ، ط1، 1992

، ص356 و357.

3 خريوش، حسين؛ المطر ودلالاته في القصيدة الحديثة،

مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، المجلد الثالث،العدد الأول ،

كانون أول ، 1992م ، ص164.

4 المرجع السابق، ص165.

5 خريوش، حسين، المطر و دلالاته في القصيدة العربية

الحديثة، ص175. 176.

6 خريوش، حسين، المطر و دلالاته في القصيدة العربية

الحديثة ، ص 176 .

7 السيّاب، بدر شاكر، الديوان، الأعمال الشعرية

الكاملة ، دراسة وتقديم سمير بسيوني، مكتبة جزيرة الورد ،

القاهرة ، 2009 ، ص308.

8 عباس، إحسان: بدر شاكر السيّاب، دار الثقافة،

بيروت، ط5، 1983م، ص243.

9 السيّاب، بدر شاكر: الديوان، مرجع سابق،

ص431.

10 المرجع نفسه، ص405.

11 السيّاب، بدر شاكر: الديوان، مرجع سابق،

ص404.

12 المرجع السابق، ص405.

- 13 الخبو ، محمد : مدخل إلى الشعر العربي الحديث »
أنشودة المطر لبدر شاكر السيّاب نموذجاً « دار الجنوب للنشر ، تونس ، ص151 .
- 14 السيّاب، بدر شاكر، الديوان، ص303.
السيّاب، بدر شاكر: الديوان، ص141.
انظر: ديوان أعاصير: قصيدة «عربد الثّار فاهتفي يا ضحايا»
عربد الثّار فاهتفي يا ضحايا واطرحي عنك باردات الصفاح
كلما ألهب الدجى حزن بغداد فغصت بدمعها النضاح
انظر: ديوان أعاصير: «قصيدة أعاصير»، ص148.
فاعةصفي يا شعوب فالكون لا ير ضيه إلا أن يعصف الأحرار
واحطمي القيد فوق هام الطواغيت وثورى فالفايز الثُّـوَار
همسة، فانتبهاه، فهتاف فانتفاضة فتورة فانتصار
انظر: ديوان أعاصير: قصيدة «دجلة الغضبي»، ص152.
ذوبِ اللَّيْلُ يا شعاع النهار تلمح العين ما وراء الستار
يبصر الشعب صرعاه فما زال واقفاً بانتظار
أيها الشعب واحتمالك عارّ على الحرّ دونه كلُّ عار
طالما قد صبرت يا شعبي المظلوم فانهض، كفاك طول اصطبار
انظر: ديوان أعاصير: قصيدة « صحيفه الأحرار»، ص157.
الشعب يعلم عن يقين أنّها بوق النضال ومنير الأحرار
حان الكفاح فأنزلتها طعنة حمراء في صدر الحليف الضاري
- ضم الشتات بها (فكاوا) يتجلى من عين يعرب ضحكة استبشار
إنّا لنُعَمَد في اللظى أقدامنا هيهات نشكو سطوة الجبار
كاوا: كلمة كردية تعني الأخ.
15 السيّاب، بدر شاكر، الديوان، ص141.
انظر: ديوان أعاصير: قصيدة «عربد الثّار فاهتفي يا ضحايا»
16 حسن، عبد الكريم، الموضوعية البنيوية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1983م، ص176.
17 عباس ، عبد الجبار : السيّاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1971 ، ص 204 .
18 انظر: للتمثيل على ذلك من ديوان «أنشودة المطر»: من قصيدة «غريب على الخليج»، ص305.
إنّي لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون!
أيخون إنسان بلاده؟
غنيت ترتبك الحبيبة
وحملتها فأنا المسيح يجر في المنفى صليبه
فسمعت وقع خطى الجياح تسير، تدمى من عثار
فتنذر في عيني، منك ومن مناسمها، غبار.
انظر من قصيدة «مرحى غيلان»، ص310.
والموت يركض في شوارعها ويهتف: يا نيام
هبوا، فقد ولد الظلام
وأنا المسيح أنا السلام
19 عباس، إحسان: بدر شاكر السياب، ص244.
20 السيّاب، بدر شاكر، الديوان، من قصيدة غريب

- على الخليج، ص 303، 305.
- 29 كمال، علي: أبواب العقل الموصدة (باب النوم و باب الأحلام)، دار واسط، ط2، 1990م، ص 711.
- 21 السيّاب ، بدر شاكر : الديوان، ص 304.
- 22 حاوي، إيليا: بدر شاكر السياب، مرجع سابق، ج4، ص 71.
- 23 الشرع ، علي : قراءة في « أنشودة المطر » للسيّاب ، ص 67،
- 24 عمر، عبد الرحيم، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات مكتبة عمان ، ص 145
- 25 السياب ، بدر شاكر : الديوان، ص 449 .
- 26 حوّر، محمد: الأم في الشعر المعاصر، دار الثقافة ، ط1، 2011، ص 38.
- 27 انظر: «قصيدة اللعنات»، ومنها غصبة إبليس، الديوان، ص 294، مالى بإحدى مقاطعها الشاعر الشاعر التركي ناظم حكمت، وانظر قصيدة «حاطم الأغلال»، ص 111، يخاطب المغني الزنجي الشهير «روبسن» إثر قيام الولايات المتحدة بتعذيب الزنوج وطردهم عام 1946م.
- وانظر: قصيدة (أعاصير) يساند بها الثورة البلشفية في روسيا، وانظر قصيدة «من رؤيا فوكاي»، و«حقائق الخيال»، يشارك فيهما هورثيما مأساها، ولم يتخل بدر عن واجبه القومي تجاه تونس في «يوم الطغاة الأخيرة» وتجاه الجزائر في «إلى جميلة بوحيرد» و«رسالة من مقبرة» إلى المجاهدين الجزائريين» وإلى دول المغرب العربي في قصيدته «في المغرب العربي، وتجاه مصر في «بور سعيد» وتجاه فلسطين في يوم فلسطين ، و ورد كثير من أسماء المدن الفلسطينية في قصائد أخرى عديدة .
- 28 عباس، إحسان: بدر شاكر السيّاب، ص 244.
- 30 السياب، بدر شاكر، الديوان، ص 407.
- 31 جده ، عبد الكريم : ثورة الزعيم المنقذة ، مطبعة البرهان ، بغداد ، 1959 ، ص 5
- 32 عباس ، إحسان : بدر شاكر السياب ، ص 298
- 33 عباس ، إحسان : بدر شاكر السياب ، ص 298 ، نقلا عن الحرية ، العدد : 1451
- 34 المرجع السابق ، الصفحة السابقة ، نقلا عن الحرية ، العدد : 1444 ،
- 35 السيّاب، بدر شاكر، الديوان، ص 398.
- 36 السياب، بدر شاكر، الديوان ، من قصيدة « غريب على الخليج » ، ص 305 .
- 37 عوض، ريتا : أسطورة الموت والانبعث في الشعر العربي ، 1978 . وانظر وقراءة إلياس خوري في كتابه : دراسات في نقد الشعر ، 1979 ، وانظر : رزوق ، أسعد : الأسطورة في الشعر المعاصر . الشعراء التمزويون ، منشورات مجلة آفاق ، بيروت 1959 ن ص 85. 94 ، حيث نأى بالقصيدة عن مؤثرات الأساطير .
- 38 السيّاب، بدر شاكر، الديوان ، من قصيدة « شناسيل ابنة الجلبي » ، ص 612 .
- 39 السياب، بدر شاكر، الديوان ، من قصيدة « غريب على الخليج » ، ص 304 .
- 40 سفوان : بلدة على الحدود العراقية الكويتية .